

الفوائد الروحية في الصوم



«إنَّ الصوم هو من أهم العوامل والمؤثرات التي تربط الإنسان بخالقه، وتوقظه عن غفوته وغفلته، فيندم على ما ارتكبه من المخالفات والآثام وتحو نفسه عن المعاصي والآثام وينقطع إلى الله سبحانه وتعالى، متخذاً من جوعه وعطشه وسيلة للتقرب منه سبحانه وتعالى.

فإشراق هذا الشهر المبارك وروحانيته تُهيمن على النفوس، فتتقاد مسرعة إلى التوبة والغفران وطلب العفو والرضوان، ويعود الإنسان إلى صفائه ونقاؤه وتسمو روحه عن كثير من ملذّات الجسد ويصبح يعيش في روحانية سامية تتغلب على كثير من الأزمات النفسية والاجتماعية.. وقد كان الزعيم الهندي (غاندي) يلتجئ إلى الصوم كلما ألّمت به الأزمات وصعب عليه حلّها لتزداد حياته الروحية قوّة على قوّة، وقد سُئل عن سر ذلك، فقال: "إنَّ الصوم لروحي كعيني للجسد.. ما تفعله العينان للدنيا الخارجية يفعله الصوم للدنيا الداخلية".

ففوائد الصوم الروحية تتمثل في:

1- تثبيت الإخلاص: والإخلاص هو من أهم خواص العبادة.. فالعبادة توفر الإخلاص في النفس بإعتبار ضرورة توفر قصد القربة فيها، إلا أننا نجد في الصوم زحماً أكبر وأضخم من المقدار المشترك بين أفراد العبادة كلها، ولهذا نرى أن الصوم يؤكد عنصر الإخلاص ويثبت به في النفس أكثر من بقية العبادات. وقد قالت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) في خطبتها في المسجد بعد وفاة أبيها (ص) في معرض بيانها لغايات بعض الأحكام: "والصوم تثبيتٌ للإخلاص".

وذلك التثبيت يحصل بأمرين:

الأمر الأول: هو أن كل العبادات الأخرى تشتمل على طواهر وشكليات معيّنة تبدو واضحة على مَنْ يقوم بتأديتها، مما يمكن أن يكون ذلك مؤدّياً لدخول عنصر الرّياء والعياذ بالله تعالى، والرّياء هو الشّرك الأصغر. وهو كما ورد يدبّ دبيب النمل.. بينما الصوم ما هو إلا عملية إمساك وإمتناع يقوم بها الإنسان الصائم ولا يعلم بها إلا الله.

الأمر الثاني: هو أن مجرد التردّد في نيّة الصيام كافٍ لإبطاله، وتحقق بعض التبعات عليه، بخلاف بقية العبادات.. وهذا التثبيت في النيّة يوجد ملائكة مراقبة الله تعالى في كل وقت وآن، فالإنسان الصائم ممتنع عن المفطرات، وهو يجعل إمتناعه في كل لحظة تقريباً، أي دوام استمرارية القربة إلى الله تعالى وهذا المعنى بالخصوص إذا تكرر يكون سلوكاً عاماً للإنسان ويُشكّل ملائكة مراقبة الله تعالى في كل لحظة من لحظات الحياة.

2- التذكير بالنعم: فإن الصوم يعتبر أروع مُذكّر للإنسان بما أنعم الله عليه من خيرات، فهو يفرض على المسلم الصائم أن يمتنع عن الطعام والشراب اللذيذ والجنس المترف، وبقية المفطرات، وهي أمامه يبصرها ويدنو إليها، ولكنه ممتنع عنها.. وضمن هذا الموقف لابد أن يتساءل: ماذا لو حُرِم من هذه النعم؟ أو فَقَدَ إمكانية الإنتفاع منها بشكل دائم؟ هذا من جانب، وماذا أعدّ لأداء حق هذه النعم العظمى من شكرٍ لوأهبها على فضله ومننه من جانبٍ آخر؟ والنتيجة تكون، إن حرمان الصائم المؤقت من هذه النعم يُوسّع من أفق تفكيره ويجعله يشعر بالنعمة أو لا، ومن ثم يشعر بنعم الله الكثيرة الأخرى ثانياً، وبعد ذلك يشعر بالتقصير الكامل للمنع، وكل ذلك يدفعه إلى التوجه والإرتباط بالله أكثر وأكثر.

3- التذكير بمواقف الآخرة: يقول (ص) في خطبته الشريفة: "واذكروا بجوعكم وعطشكم جوع يوم القيامة وعطشه". فهو (ص) يريد أن يقول للناس الصائمين أن جوعكم وعطشكم هذا يُذكّر بركم بجوعٍ وعطشٍ آخر في موقف أكبر وأعظم من هذا الموقف، ذلك الموقف الذي يُشكّل الجوع والعطش فيه أحد العوامل المحيِّرة

للفكر، إذ نرى الوجوم والسكون هو المسيطر على الموقف، وقد خشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً، وكما يقول تعالى في سورة الحج الآية الثانية: (وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد).

وهكذا يتم الربط بين عملية الجوع والعطش في الحياة الدنيا، هذه العملية التدريبية وبين ذلك الموقف الأخرى، وأنّ الأولى هي من أجل الثانية، وبحصول هذا التصور والفهم يندفع الإنسان أكثر وأكثر لعمل ما يقيه شرّاً ذلك اليوم وليحشره الله في ثُلَاثَة طاهرة، كما قال تعالى في سورة القيامة الآيتان 22-23: (وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربّها ناظرة).